مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
المجلد: 02 العدد: 01 (جوان 2022) ص157 / 166

واقع التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية في ظل جائحة كورونا بين تحدي وحتمية التحول الرقمي

The Reality of Distance Education at The Algerian University Under The Corona Pandemic Between The Challenge and The Inevitable of Digital Transformation

د. حفيظة طالب *
جامعة البويرة ، (الجزائر)
hafidataleb12@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ الإرسال: 2022/05/09
تاريخ القبول: 2022/06/14
الكلمات المفتاحية:
- ✓ التعليم عن بعد
- ✓ الجامعة الجزائرية
- ✓ جائحة كورونا
- ✓ التحول الرقمي

الملخص:

مع تفشي فيروس كورونا وتحوله إلى جائحة عالمية، أيقنت الحكومة الجزائرية أهمية رقمنة الجامعة كضرورة حتمية للوضع الصحي المتأزم، وأهمية مواكبة التحول الرقمي بالشكل الذي يساعد على تطوير تقنية التعليم عن بعد، من جهة وتحسين تصنيفات الجامعات الجزائرية إقليميا ودوليا من جهة أخرى، ولكن الجزائر كغيرها من دول العالم الثالث لا تزال أمام مجموعة من التحديات على غرار نقص المورد البشري المؤهل للإشراف على برامج الرقمنة وأيضا ضعف تدفق الأنترنيت، وهو ما يستلزم مضاعفة الجهود على مختلف الأصعدة لتوفير البيئة الملائمة للتحول الرقمي وكذا تطوير تقنيات التعليم عن بعد.

Article info
Received 09/ 05/2022
Accepted 14/06/2022
Keywords:
- ✓ *Distance Learning*
- ✓ *The Algerian University*

Abstract :

With the outbreak of the Corona virus and its transformation into a global pandemic, the Algerian government realized the importance of digitizing the university as an imperative for the dire health situation, and the importance of keeping pace with the digital transformation that helps develop distance education technologies on the one hand and improve the classification of Algerian universities regionally and internationally on the other hand. but Algeria, like other third world countries, still faces a set of challenges, such as the lack of qualified human resources to supervise digitization programs and also the weak Internet flow, which requires redoubling efforts at various levels to

*المؤلف المرسل

provide the appropriate environment for digital transformation as well as the development of distance education technologies.

✓ *The Corona Pandemic*
✓ *Digital Transformation.*

مقدمة:

يعد التعليم عن بعد أحد البدائل والخيارات التي أتاحتها الثورات العلمية، والتكنولوجية في عصر ما بعد العولمة، أين أصبح بإمكان الأساتذة والطلبة التعليم والتعلم دون الحاجة للذهاب إلى المراكز والمؤسسات التعليمية، وإنما فقط باستعمال الوسائل التكنولوجية والوسائط الإلكترونية الرقمية. فجائحة كورونا وما ترتب عنها من مخاوف وتداعيات صحية خطيرة أجبرت العالم بأفراده ومؤسساته وهيئاته على التعامل الرقمي والتواصل عن بعد احتراما للبروتوكول الصحي ولتوصيات منظمة الصحة العالمية.

والجزائر كغيرها من دول العالم ليست بمنأى عن تطورات الوضع الوبائي وهي الأخرى اتخذت مجموعة من الإجراءات الصحية والقرارات الخاصة بكيفية تسيير القطاعات وضمان صيرورة الحياة، لذلك عمدت إلى تبني إجراء التعليم عن بعد لاستكمال البرامج والمقاييس الدراسية في الجامعات والمدارس والمعاهد حرصا على صحة الأساتذة والطلبة من جهة وتفاديا لمشكلة السنة البيضاء من جهة أخرى.

ولكن خصوصية البنية الثقافية والتحتية في الجزائر وضعف المنظومة التكنولوجية الرقمية رغم مساعي الجهات الوصية للتحول الرقمي مثلت أهم الصعوبات التي تواجه تقنية التعليم عن بعد نظرا لعنصر المفاجأة الذي اضطر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى تبني هذا النّوع من التعليم دون وضع خطة استراتيجية مدروسة بمحاور واضحة ومراحل محددة زمانيا. وهو ما يستدعي البحث عن سبل وآليات تعزيز التّحول إلى نظام الرقمنة لإنجاح عملية التعليم عن بعد.

وفي ضوء ما تقدم تعالج هذه الورقة **إشكالية** مفادها:

- إلى أي مدى ساهمت جائحة كورونا في تحول الجامعة الجزائرية إلى الرقمنة في ظل ضرورة اعتماد تقنية التعليم عن بعد؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم تبني **الفرضية** التالية:

- إنّ نجاعة التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية مرتبطة بضرورة التحول الرقمي ومواكبة التطورات التكنولوجية.

وفيما يتعلق **بالمقاربة المنهجية** فستعتمد الدراسة على المنهج الوصفي للوقوف على الإجراءات المتخذة على المستوى الجامعي في إطار اعتماد تقنية التعليم عن بعد ودراسة مدى فاعليتها. لذلك تم تقسيم الورقة البحثية إلى ثلاث محاور رئيسية: الأول يتناول الإطار المفاهيمي للدراسة، والثاني يدرس واقع التعليم عن بعد في الجزائر في ظل جائحة كورونا، والثالث يعالج مقومات وتحديات التحول الرقمي في الجامعة الجزائرية.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

تستدعي الضرورة المنهجية تقديم لمحة تعريفية لمتغيرات الدراسة، حتى يتم توضيح العلاقة التكاملية بين نجاح التعليم عن بعد وحتمية التّحول الرقمي في قطاع الجامعة، على اعتبار أنّ الأخير يعد من بين أهم وأبرز القطاعات

الحساسة التي تتطلب توفر التكنولوجيا الرقمية والمعدات التقنية لضمان تعليم عصري وناجح يتخطى كافة المعيقات المادية والمعنوية.

أولا: التعليم عن بعد

لقد تطورت ممارسة التعليم عن بعد ونظريته عبر خمسة أجيال، وعلى امتداد 150 عاما. فطول هذا الوقت كان التعليم بالنسبة للجيل الأول من بين المساعي الفردية القائمة على الاتصالات البريدية غير المنتظمة بين الطالب والمدرس. ثم فيما بعد شهد النّصف الأخير من القرن العشرين تطورات سريعة وظهور ثلاث أجيال إضافية، فالجيل الثاني كان مدعوما بوسائل الإعلام الجماهيرية كالتلفزيون والراديو، وارتبط الجيل الثالث هو الآخر بالأدوات المتزامنة لعقد المؤتمرات عن بعد بالصوت والصورة، أما الجيل الرابع فقد اعتمد على مؤتمرات الكمبيوتر. في حين أنّ أوائل القرن الواحد والعشرين وضعت الرؤى الأولى للجيل الخامس استنادا إلى وكلاء مستقلين وانتشار التعلم الذكي بمساعدة قاعدة البيانات والذي تمت الإشارة إليه باسم الويب الدلالي التعليمي[1]. وعليه فإنّ طريقة التدريس عن بعد قد ارتبطت في البداية بالمراسلة التي تقوم على نقل المواد المطبوعة إلى المتعلمين ثم انتقلت إلى استخدام الوسائط المتعددة، أين جرى التوسع في التفاعل المتعدد بين المتعلم ومؤسسات التعليم عبر الهواتف والحواسيب[2].

وعلى هذا النّحو فإنّ عملية التعليم عن بعد قد تطورت بتطور ظاهرة الاتصال وتقنياتها المتعددة، وهو ما يعكس حاجة التعليم إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة، باعتباره أيضا عملية اتصالية تخاطبية وتواصلية تهدف إلى تجميع ونقل المعلومات وتنمية القدرات المعرفية، وهو الأمر الذي يتطلب بنية اتصالية متطورة حتى تكون العملية التعليمية ذات محتوى فعال وناجح.

وفي الحقيقة هنالك فيض كبير من المصطلحات الدالة على التعليم عن بعد في اللغة الإنجليزية وكلها تشترك في معنى واحد وهو توظيف الأدوات التكنولوجية والوسائط الإعلامية، ونذكر منها:

(E- Learning, Electronic Learning Remote Learning, Distance Education, Distance Learning)

فعلى الرغم من تعدد أشكال كتابة المصطلح فإنّ مضامين مفهوم التعليم عن بعد في جوهره وأبعاده يعني "عملية تحويل التعليم التقليدي (وجها لوجه) إلى شكل رقمي يتم من خلال نقل المحتوى التعليمي عبر وسائط إلكترونية مرتبطة بالشبكة العنكبوتية"[3]. فمع مرور الوقت تطورت تقنيات التعليم لاسيما مع ظهور الأنترنيت، أين تم التحول من التعليم على مستوى المدارس والفصول الدراسية والذي كان يتم حضوريا إلى التعليم عبر الأنترنيت. وبالتالي فإنّ التعليم عن بعد هو خليط من الأفكار والممارسات المأخوذة من إعدادات الفصول الدراسية التقليدية والمفروضة والتي يتم تلقينها للمتعلمين المنفصلين على المعلم جغرافيا وربما حتى زمانيا. ويتطلب هذا النوع من التعليم الاتصال بالتقنيات التكنولوجية ويخضع في الآن ذاته للتنظيم المؤسسي[4].

وهذه النّقطة تحديدا توضح بأنّ التعليم عن بعد يخضع هو الآخر إلى مجموعة من الشروط التنظيمية المفروضة من قبل المؤسسات التعليمية على غرار طبيعة البرامج والمقاييس الدراسية، طرق التدريس، المناهج، الأهداف والخطط الاستراتيجية. وهو ما يدل على أنّ التعليم عن بعد هو عملية مدروسة وليست عشوائية تخضع لمراقبة الجهات الوصية، ويبقى الهدف الرئيسي من اعتمادها هو تسهيل عمليتي التعليم والتعلم والاتجاه نحو رقمنة الجامعة والمدرسة وتحقيق مبدأ الاحترافية.

ومن هذا المنطلق يعد التعليم عن بعد "أحد الأنماط الجديدة التي تسمح بنقل وتوصيل المادة العلمية عبر وسائل ووسائط إلكترونية متعددة دون التزام الطالب بالحضور الإجباري والمنتظم إلى قاعة التدريس"[5].

كما يعرف التعليم عن بعد أيضا بأنّه "عملية نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، فهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيدا أو منفصلا عن القائم بالعملية الاتصالية، أين تستخدم التكنولوجيا من أجل ملأ الفجوة بين كل من الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجها لوجه"[6].

وتأسيسا على ذلك نستنتج بأنّ التعليم عن بعد هو أحد العمليات الاتصالية المرتبطة بشبكة الأنترنيت والوسائط الإلكترونية المختلفة، والتي تلغي المسافات وتجمع المتعلمين والأساتذة في فضاء تعليمي موحد يسمح بنقل المعارف والمعلومات ويتيح المجال للمناقشات الأكاديمية، وفق برامج تعليمية منظمة وموجهة من قبل الجهات الفاعلة والمشرفة على العملية التعليمية.

ثانيا: التحول الرقمي

يعرف التّحول الرقمي Digital Transformation بأنّه عملية استخدام التكنولوجيا الرقمية بهدف تحقيق التميز في المؤسسات والإدارات والشركات، حيث لا ترتكز عملية التّحول إلى نظام الرقمنة على تعزيز التكامل والترابط بين تكنولوجيا العمليات التشغيلية وتكنولوجيا المعلومات فقط، وإنّما ترتكز أيضا على تشغيل النّظم التكنولوجية بطريقة تشاركية وبأكثر فعالية، أين تبدأ عملية التّحول الرقمي بتحويل الوثائق الورقية إلى صيغة رقمية صالحة للتداول على الأجهزة الإلكترونية ووسائط الأنترنيت. أما فيما يخص الرقمنة فهي تعني استعمال التكنولوجيات والبيانات لغرض تحسين الآداء وخلق بيئة عمل رقمية تستخدم فيها المعلومات الرقمية بشكل أساسي بدلا من المعلومات الورقية[7]. وهو ما يشير إلى أنّ التّحول الرقمي يرتبط بانتقال المؤسسات والإدارات المختلفة من النّموذج البيروقراطي إلى النّموذج الرقمي القائم على التعاملات التكنولوجية والتقنيات الرقمية بدلا من المعاملات التقليدية التي تستهلك الوقت والجهد.

كما يُعرّف التّحول الرقمي أيضا بأنّه "الاستثمار في الفكر وتغيير السلوك لإحداث تحول جذري في طريقة العمل، وهذا بواسطة الاستفادة من التطور التقني لخدمة المستفيدين بشكل أسرع وأسهل". فالتحول الرقمي هو أنسب حل لبناء مجتمعات فعالة، وتنافسية، ومستدامة، بغية ضمان تغيير جذري في الخدمات المقدمة من خلال اتخاذ الإجراءات المناسبة لتفعيل وتنفيذ استراتيجيات التحول إلى نظام الرقمنة[8].

وفي هذا الإطار تعد ظاهرة التحول الرقمي من أكثر الظواهر بروزا في القرن الواحد والعشرين، كونها تجذب اهتمامات العديد من المؤسسات حتى أصبحت حقلا للعديد من النظريات والتفسيرات والجدالات الأكاديمية، فقد حفزت عملية التحول الرقمي انتقال المؤسسات من بيئة محلية داخلية إلى وضعية متميزة متكاملة مع البيئات الأخرى تولد انعكاسات مباشرة وتنتج نموا مستمرا. وفي هذا السياق أطلق المنتدى الاقتصادي العالمي عام 2015 مبادرة التّحول الرقمي وهي من بين المشاريع التي أطلقت كجزء من المبادرات المنظمة بشأن تشكيل المستقبل. وبالحديث عن مصطلح التحول في حد ذاته نجد بأنّه ماديا يشير إلى عملية تغيير الشكل دون المضمون، إلى جانب انطوائه أيضا على معنى عملي يشير إلى تحسين كفاءة وفعالية الخدمة العامة في ضوء احتياجات الفرد[9].

ففي ظل ما يشهده العالم اليوم من تطور تكنولوجي هائل أصبح التّحول الرقمي معيار حقيقي لاختبار مدى فعالية وكفاءة المؤسسات والإدارات من جهة ومدى جودة الخدمات المقدمة للعامة من جهة أخرى، لاسيما وأنّ بيئة الاتصالات قد شهدت ثورة تكنولوجية ورقمية حقيقية ألغت جميع الفجوات وفتحت الباب واسعا أمام رقمنة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. ولعل ما عاشه العالم منذ بدايات عام 2020 بتفشي وباء كورونا خير دليل على ذلك، نظرا لحاجة الدول والحكومات والمؤسسات والشركات والإدارات والجامعات إلى التوجه نحو الرقمنة كخيار لا بديل عنه لتحقيق المتطلبات الأساسية والضرورية.

المحور الثاني: واقع التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية في ظل جائحة كورونا

إنّ الجزائر كغيرها من دول العالم الأخرى تأثرت بجائحة كورونا على مختلف المستويات وهو الأمر الذي دفع بها إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات للتعايش مع الجائحة والخروج بأقل الأضرار لاسيما قطاع التعليم العالي، إذ وجدت الوزارة الوصية نفسها مجبرة على اعتماد نظام التعليم عن بعد كوسيلة لضمان سيرورة العملية التعليمية، كونه الطريقة الأنسب للحفاظ على حياة الأسرة الجامعية والخروج بأقل الأضرار.

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنّ الجزائر منذ استقلالها عام 1962 وهي تواجه تحديات عديدة على مختلف الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى التعليمية إذ كان لزاما على الحكومة الجزائرية بناء المؤسسات التعليمية وضمان ديمقراطية التعليم ومجانيته، ولكن الأهداف كانت كبيرة والإمكانيات محدودة، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء مركز يهدف إلى اعتماد برنامج التعليم عن طريق المراسلة أين تم توجيهه لكل من يرغب في التعلم، وهو ما تمخض عنه إنشاء المركز الوطني للتعليم المعمم والمتمم بالمراسلة سنة 1969[10]. لتمثل بذلك هذه الفترة المحطة الأولى للتعليم عن بعد ولكن في نمطها الكلاسيكي المرتبط بالدراسة في المنزل واجتياز الامتحانات في المراكز المحددة من قبل الجهة المعنية، بمعنى لم يرتبط هذا النّوع من التعليم بالوسائل الإلكترونية والتقنيات الرقمية مقارنة بالوقت الراهن.

وفيما يتعلق بانتشار فيروس كورونا في بدايات عام 2020 فإنّ الحكومة الجزائرية استعجلت اعتماد نظام التعليم عن بعد كبديل عن التعليم التقليدي، لاسيما وأنّ الأخير أصبح ضرورة حتمية في العملية التعليمية وأيضا من بين التوجهات العالمية، ولكن لا يمكن تجاهل عامل سلبي مهم وهو العامل الفجائي لتبني التعليم عن بعد دون سابق تخطيط، وهو ما من شأنه تعميق الأزمة التعليمية في الجزائر والإسهام أيضا في تدني مستويات التعليم. وفي هذا الصدد أطلقت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر برنامج الدعم عبر الأنترنيت من خلال المنصات التعليمية، وتندرج هذه الخطوة ضمن المساعي والتدابير المتخذة لمجابهة انقطاع العملية التعليمية في ظل التفشي السريع للوباء[11].

وفي هذا الإطار أقرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العديد من الإجراءات الاحترازية لضمان سيرورة عملية التدريس عن بعد، أين تم طرح مبادرة بيداغوجية في المرجع رقم 288/ أ.خ. و/2020، والذي كان بتاريخ 29 فبراير 2020، حيث تضمّن وضع أرضيات رقمية تهدف إلى استمرارية التعليم، أين تم حث مدراء المؤسسات الجامعية ورؤساء المجالس العلمية لتحسيس وتعبئة الأساتذة للانخراط في هذه المبادرة البيداغوجية، كما قام أيضا وزير التعليم العالي والبحث العلمي في الفاتح من أبريل 2020 بإرسال تعليمات عديدة إلى المؤسسات الجامعية ورؤساء

الهيئات العلمية موضوعها وضع الدعائم البيداغوجية عبر الخط، وهنا يظل الأستاذ الباحث مسؤولا عن اختيار تصميم الوثائق البيداغوجية الموجهة لوضعها على الخط إما في شكل مطبوعات، دروس مكتوبة، فيديوهات، محاكاة، دروس تفاعلية،،،) وبغرض إضفاء الانسجام على الهياكل التكنولوجية المستعملة ووسائلها وتقنياتها البيداغوجية، أين أوصت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي باعتماد فضاء رقمي موحد متمثلا في أرضية مودل (Plateforme Moodele)[12].

وعلى الرغم من التطور السريع للتعليم عن بعد إلا أنّه من الواضح وجود مجموعة من الحواجز التي تؤثر على جودة التعليم والتعلم عن بعد، فهنالك من يرى بأنّ اعتماد التعليم عن بعد عبر الانترنيت في الجزائر هو تجربة فاشلة إلى أبعد الحدود ويعود ذلك إلى عدة أسباب يمكن حصرها في النقاط الآتية الذكر[13]:

- اللجوء إلى العطل الاضطرارية دليل مؤكد على فشل التجربة.
- قلة وانعدام الوسائل التكنولوجية الإعلامية لاسيما في مناطق الظل.
- التدفق المتذبذب للأنترنيت.
- غياب الدورات التكوينية -المؤطرة والمنظمة لعملية التعليم والتعلم عن بعد- الموجهة للأساتذة والطلبة.
- شعور الطلبة بانخفاض مستوى آداء الأساتذة مقارنة بآدائهم في تقديم الدروس بالطريقة التقليدية.

ويضاف إلى ذلك أيضا إحاطة التعليم عن بعد في الجزائر بصعوبات عديدة نذكر منها[14]:

- عدم الجاهزية: لقد وجد كل من الطالب والأستاذ نفسهما مجبران على الامتثال لتعليمات الوصاية باستخدام التعليم عن بعد، فالتحول إلى نظام التعليم عن بعد لم يكن خيارا استراتيجيا ولا خيارا مبرمجا، الأمر الذي خلق جوا من الارتباك نتيجة تطبيقه بصورة مفاجئة.
- أغلب الطلبة لا يملكون حسابات بريدية ولا أجهزة حواسيب مجهزة بالأنترنيت، دون نسيان عامل آخر وهو تعطل المنصات المخصصة نتيجة ضعف التغطية لشبكة الأنترنيت في الكثير من المناطق.
- عدم القدرة على تخصيص غرف داخل المنازل لهذه العملية الدقيقة، فالأولياء أمام تحدي كبير للتعامل مع نظام تعليمي منزلي في ظل الحجر الذي دام عديد الشهور.
- صعوبة إنجاز الطلبة لمذكراتهم نظرا لعدم تمكن الطلبة من الحصول على المصادر والمراجع إلكترونيا، إلى جانب صعوبة التواصل مع المشرفين.
- صعوبة تطبيق نمط تعليمي إلكتروني ناجح في الجزائر لكثرة المشكلات التقنية في الشبكة، وقلة التحكم في الدعائم الحديثة والاكتفاء بالاعتماد السلبي عليها.
- عدم الاقتناع ببديل التعليم عن بعد عند الكثير من أفراد الأسرة الجامعية لاسيما من الجيل القديم.

ومن خلال هذه العناصر يتضح بأنّ التعليم عن بعد في الجزائر يحتاج إلى إعادة مراجعة نظرا لضعف البنية التحتية والتفاوت الإقليمي فيما يخص توافر الوسائل التكنولوجية وتدفق الأنترنيت، فالتحول من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني يتطلب خطط استراتيجية مدروسة ومحدودة المدى، وبالتالي عامل الفجائية الذي ميز اعتماد الجامعات الجزائرية على هذا النوع من التعليم أسهم فعلا في استكمال البرامج والمقاييس الدراسية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما مدى نجاعة هذا النّمط التعليمي من حيث الكيف والمردود؟

المحور الثالث: مقومات وتحديات التحول الرقمي في الجامعة الجزائرية

إنّ التطورات الحاصلة في النّظام الدولي منذ نهاية التسعينات وبداية الألفيات وتعدد مخرجات العولمة على مختلف الأصعدة حول العالم إلى قرية صغيرة نتيجة تطور بنية الاتصالات وتنوع الوسائط الإلكترونية والتقنيات الرقمية، ممّا سمح بالاستثمار في التكنولوجيا وفتح المجال للتحول إلى نظام الرقمنة بالنّسبة للقطاعات الحكومية وغير الحكومية، بغرض تسهيل الخدمات والمعاملات الإدارية والبيداغوجية على حد سواء.

فالتكنولوجيا الرقمية تعد وسيلة أساسية لتحديث الإدارة المركزية والمحلية ومحاربة البيروقراطية ومواصلة تحسين جودة الخدمات العامة المقدمة، فإدراكا لهذه القضايا شرعت السلطات العامة الجزائرية في رقمنة بعض الخدمات العامة الضرورية للمواطن، وتبني خطة لتعزيز الإدارة الرقمية (الإدارة الإلكترونية) من خلال محاولة اضفاء الطابع الرقمي على مختلف الخدمات العامة، لذلك فإنّ تطوير البنية التحتية لدعم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يشكل نقطة مهمة في استراتيجية الحكومة الجزائرية[15].

وبالحديث عن واقع البيئة الرقمية في الجزائر نجد بأنّ حكومة الأخيرة قد وضعت في عام 2000 سياسة خاصة لتطوير قطاع الاتصالات بغية توفير مناخ قانوني ومؤسساتي يسمح بترقية المنافسة والولوج إلى مختلف خدمات الاتصال، بيد أنّ الجزائر لم تتوفر على استراتيجية واضحة المعالم تسمح لها ضمان بيئة رقمية مناسبة ومساعدة للتحول الرقمي. ولكن في عام 2008 تم بلورة استراتيجية "الجزائر الإلكترونية 2013"، وكان من أهم أهدافها تسريع استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الإدارات العمومية والمؤسسات وكذا تطوير البنية التحتية الخاصة بالاتصالات ذات التدفق العالي، إلى جانب تكوين وتطوير البحث والابتكار في هذا المجال، كما تم اطلاق بعض المشاريع لترقية الرقمنة نذكر منها: مشروع أسرتك، مشروع المدينة الذكية سيدي عبد الله، مشروع التعلم الإلكتروني لطلبة الجامعات[16].

ومنه نستنتج بأنّ الحكومة الجزائرية حاولت مواكبة التّطورات الحاصلة في النّظام الدولي من خلال تبني مشروع الحكومة الإلكترونية ورقمنة القطاعات الأخرى، ولكنّها افتقدت واقعيا خطة عمل قابلة للتجسيد في إطار زماني محدد، على اعتبار أنّ الإدارات والجامعات ومختلف المؤسسات لا تزال تمارس البيروقراطية وتفتقد إلى معايير الرقمنة المعاصرة.

وتأسيسا على ذلك يواجه قطاع التعليم العالي والبحث العلمي صعوبات عديدة في كيفية التعامل بالرقمنة لنشر ثقافة تكنولوجيا المعلومات قصد مواجهة التّحديات الحديثة للجامعة الجزائرية، والعمل على نشر الثقافة الرقمية الحقيقية والتكيف معها، من خلال تخطي الصعوبات المادية التقنية وحتمية توفير المتطلبات المادية البشرية. فالأولى تتطلب وضع دراسة مفصلة حول الموارد التي يمكن اعتمادها والتي ينتظر منها أن تنشأ سيولة مالية كافية

لتدعيم سير المشروع بقدر معين. إلى جانب ضرورة تطوير أدوات الرقمنة واكتساب المهارات الرقمية الأساسية. أمّا الثانية فتتطلب التأهيل العلمي للعناصر البشرية وعلى مستوى عالي من الكفاءة[17].

ومن هذا المنطلق فإنّ الانتقال إلى تعليم جامعي رقمي في الجزائر يتطلب توافر العناصر الآتية الذكر[18]:

- التطبيقات التكنولوجية الجديدة: بغية تحسين جودة العملية التعليمية من خلال الاستفادة من الشبكة العالمية للأنترنيت، والتي هي وسيلة لتخزين المعلومات ومصدر لا متناهي لها، إذ ينبغي على الأساتذة الجامعيين والطلبة لإلقاء وتلقي الدروس إتقان استخدام البريد الإلكتروني ومختلف وسائل التكنولوجيا لتقديم أعمالهم العلمية، ومعرفة الدخول إلى المنصة الرقمية التعليمية مودل من أجل وضع المحاضرات والتواصل مع الطلبة وفتح منتديات النقاش معهم.
- البرمجية التعليمية: بواسطة التعليم عبر الحاسوب وهو برنامج تفاعلي موجه لنقل العلم والمعرفة حول موضوع معين، كما أنّه عبارة عن سند رقمي هدفه التكوين باستعمال برنامج إعلامي.
- التعلم عبر الخط الرقمي: ويقصد به الاستخدام المتعدد لتكنولوجيا الإعلام الرقمية بغرض تحسين نوعية التعلم وبهدف تسهيل المرور إلى المصادر والخدمات من جهة، والتعاون والتبادل المعرفي من جهة أخرى. والخط الرقمي هو عبارة عن إجراء بيداغوجي وتكنولوجي يتعلق بالتكوين عن بعد، التعليم الجامعي، التكوين بالمؤسسات.

وفيما يخص تحديات التّحول الرقمي في مجال التعليم العالي في الجزائر فيمكن القول بأنّ الجزائر رغم بدءها استخدام الشبكة العنكبوتية عام 1993 إلا أنّ واقع استخداماتها في المجال الجامعي يبقى محدودا وضعيفا وبعيدا عن كل ما هو مطلوب وضروري، ويرجع ذلك إلى العديد من العوامل أبرزها[19]:

- ارتفاع سعر الحواسيب مقارنة مع الدخل المتوسط للأفراد.
- الاحتكار الواقعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، فقطاع الاتصالات هو تابع للدولة باستثناء الهاتف النقال.
- بالرغم من وجود تجربة الماستر عن بعد وكذلك رقمنة المواقع الخاصة بالكليات ولكنها تفتقد إلى التحديث والتحيين. على اعتبار أنّ جائحة كورونا أجبرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي على إنشاء منصات رقمية تعليمية تتوفر على جميع الدروس والمحاضرات لجميع السنوات إلا أنّ ذلك غير كافي.
- غياب الأنترنيت في قاعات التدريس.
- المناخ الإداري البيروقراطي في الجزائر لا يشجع على استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في العملية التعليمية.
- ضعف البنية التحتية الداعمة لتطبيق تكنولوجيا الإعلام والاتصال في العملية التعليمية.
- غياب التدفق العالي للانترنيت.

وقصارى القول حول مقومات وتحديات التّحول الرقمي في الجزائر هو أنّ الأخيرة تحتاج إلى إرادة حقيقية لرقمنة القطاعات الحساسة، لاسيما قطاع الجامعة باعتباره قطاعا حساسا وحيويا، إذ لابد من تسريع وتيرة استخدام التكنولوجيات ورقمنة المعلومات، ونشر الثقافة الإلكترونية الرقمية والتخلي عن الملفات الورقية، وهذا وفق خطة منهجية مدروسة ومحددة زمانيا، لكي يتم ضمان نجاح نظام التعليم عن بعد وغيره من الأنظمة الأخرى على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول بأنّ التعليم عن بعد في الجزائر لم يكن خيارا مدروسا وإنّما مفروضا في ظل جائحة كورونا، وهو الأمر الذي أسهم في خلق العديد من المعيقات والصعوبات سواء للطالب أو الأستاذ على حد سواء، لأنّ التعليم عن بعد يحتاج إلى بيئة عمل رقمية تتضمن كوادر بشرية مؤهلة وتقنيات وتكنولوجيات رقمية لضمان جودة الخدمة التعليمية، وطبعا مع تدفق عالي للانترنيت دون وجود أي تفاوت إقليمي حتى يتم ضمان نجاح العملية التعليمية على أحسن وجه في كل ربوع الدول.

وممّا تقدم نستنتج بأنّ التحول الرقمي هو أحد أهم الركائز الضرورية لتطوير الجامعة وتحسين خدماتها التعليمية، فرقمنة هذا القطاع الحساس من شأنه إلغاء كافة القيود أمام الطالب والأستاذ وتسهيل عملية التواصل البيني، لأنّ التعليم عن بعد في الأصل هو عملية اتصالية تهدف إلى نقل المعرفة.

التهميش:

[1] - Anderson. Terry, (2011), The Theory and Practice of Online Learning, Canada, Au Press, p 2.

[2]- زايد. محمد، (2020)، أهمية التعليم عن بعد في ظل تفشي فيروس كورونا، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 9، العدد 4، ص 490.

[3]- عزوز. أحمد، (2017)، التعليم عن بعد بين النشأة والتطور مقاربة في خلفيته التاريخية وأبعاده التنموية، التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق: التجربة الجزائرية أنموذجا، جامعة مولود معمري، الجزائر، ص 28.

[4]- Sun. Anna and Chen. Xiufang, (2016), Online Education and its Effective Practice: A Research Review, Journal of Information Technology Education: Research, Volume 15, pp 159, 160.

[5]- عزوز. محمد، **مرجع سابق**، ص 28.

[6]- مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2020، التعليم عن بعد، مفهومه، أدواته، واستراتيجياته، ص 14.

[7]- منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، أوابك، (2021)، دور التحول الرقمي في تحسين آداء صناعة التكرير والبيتروكيمياويات، الكويت، ص 17.

[8]- المرحلة القادمة للتحول الرقمي، في: https://webinar.attaa.sa/files/webinars/244/files/41c0ea9_1605107749.pdf

[9]- أمين. مصطفى أحمد، (2018)، التحول الرقمي في الجامعات المصرية كمتطلب لتحقيق مجتمع المعرفة، مجلة الإدارة التربوية، العدد 19، ص ص 42، 43.

[10]- سعيداني. سلامي وآخرون، (2016)، التجربة الجزائرية في مجال التعليم الإلكتروني والجامعات الافتراضية: دراسة نقدية، مجلة التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، المجلد 4، العدد 6، ص 35.

[11]- قودة عزيز ودهيمي. زينب، (2021)، التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية في ظل أزمة جائحة Covid- 19 تصفح سوسيولوجي لبعض الدراسات في المواقع الإلكترونية، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 13، ص ص 471، 472.

[12]- بوخدوني. صبيحة وبن عاشور. الزهرة، سياسة التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19 دراسة تحليلية لتعليمات والقرارات الصادرة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية، مجلة مدارات سياسية، المجلد 4، العدد 4، ص ص 68، 69.

[13]- قودة. عزيز ودهيمي. زينب، مرجع سابق، ص ص 472، 473.

[14]- أمبارك. أحمد وبكيري. محمد الأمين، (2019)، التعليم الإلكتروني في زمن كورونا: التجربة الجزائرية تحديات ورهانات، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 7، العدد 2، ص ص 12- 17.

[15]- Revue Semestrielle Editée Par L'association Des Diplômes De L'IFID, (2020), Transformation Numérique En Algérie, Numéro 4, p 3.

[16]- Bchari. Selma, (2020), Développement De La Digitalisation En Algérie Pour la Période Post Covid- 19, Les Chiers du Cread-, Numéro 3, p 587.

[17]- بوراس. لطيفة، (2020)، الرقمنة في الجامعة بين التغيير الجذري والتكيف الحتمي، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية، المجلد 57، العدد خاص، ص ص 122، 125.

[18]- خواص. نصيرة، (2021)، الجامعة الجزائرية في تحدي التحول الرقمي: ضرورة واقع لضمان جودة حقيقية، الرقمنة ضمانة لجودة التعليم العالي والبحث العلمي وتحقيق التنمية المستدامة، الجزء 2، جامعة بومرداس، الجزائر، ص ص 81- 86.

[19]- المرجع نفسه، ص ص 86- 89.